وليَّه الشيطانُ وحزبُه ولو كان معه الأنام [طُرّاً][١]، ألا وإنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزَننا وأفْرَحَنا، أتانا قتلُ مصعب رحمه الله، فأمَّا الذي أفْرَحَنا؛ فعِلْمُنا أنَّ قَتْلَه له شهادة، وأمَّا الذي أحزَنَنا؛ فإنَّ لفراق الحميم لوعةً يجدُها حميمُه عند المصيبة، ثم يَرْعَوِي مِن بعدِها ذو الرأي إلى الصبر الجميل وكريم العَزَاء، ولئن أُصبْت بمصعب؛ فلقد أُصبتُ بالزُّبير قبلَه، ألا إنَّ أهلَ العراق أهلُ الغَدْرِ والشِّقاق، أسلَمُوه وباعوه بأقلِّ ثمن، فإن نُقتل فإنَّا واللهِ لا نموتُ على مضاجعنا كما يموتُ بنو أبي العاص، واللهِ ما قُتِلَ منهم رجلٌ في زحفٍ في الجاهلية ولا في الإسلام، وما نموتُ إلا قَعْصاً[٢] بالرِّماح، وموتاً تحت ظِلال السيوف، ألا إنما الدّنيا عاريَّةٌ من المَلِكِ الأعلى الذي لا يزولُ سلطانُه، ولا يَبِيدُ مُلْكُه. وتمثَّلَ:

وكلُّ جديدٍ يا أُمَيْمَ إلى البِلَى ... وكلُّ امْرِىءٍ يوماً يصيرُ إلى كانَ[٣]

السنة الثانية والسبعون

وفيها كَمُلَ بناءُ قُبَّة الصَّخرة والجامع الأقصى، وكان [عبد الملك] شَرَعَ في بنائها سنة تسع وستين[٤].

والسببُ[٥] فيه أنَّ ابن الزُّبير كان قد استولى على مكة[٦].

[وقال هشام:] وكان يخطبُ في أيام منى وعرفة ومُقامِ الناس بمكة، وينال من عبد الملك، ويذكرُ مساوىءَ بني أمية، ومثالب بني مروان، ويقول: إنَّ رسول الله ﷺ لعنَ

(١) لفظة «طرّاً» بين حاصرتين من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٦.

(٢) القَعْص: الطعن بالرُّمح.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٦٦ـ١٦٧. وجاء بعده في (خ) ما نصُّه: آخر الجزء المنقول منه؛ والحمد لله وحده، حسبنا الله ونعم الوكيل.

(٤) سلف الكلام على ذلك أول سنة (٦٩)، لكن نقل ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ عن المصنِّف البدء بها في أحداث سنة (٦٦)، وقال: كملت عمارته سنة ثلاث وسبعين. ولفظ العباره في (م): قد ذكرنا أن عبد الملك بن مروان كان شرع.....

(٥) في (م): قال الواقدي: وكان السبب...

(٦) بعدها في (م) ما صورتُه: «فكان في المواسم يذكر مثالب بني مروان ويدعو إلى نفسه، وكان فصيحاً، فتميل الناس إليه، فمنع عبد الملك الناس من الحج». وسيرد هذا الكلام مفرَّقاً فيما يأتي. لذا لم أزده.

الحَكَم وما نَسَل، وإنَّه طريدُ رسول الله ﷺ ولَعِينُه. ويدعو إلى نفسه. وكان فَصِيحاً، فمال معظمُ أهل الشام إليه، وصاروا بِطانةً له.

وبلغ عبدَ الملك، فمنعَ الناسَ من الحجِّ، فأقاموا مدَّةً، فضجُّوا، فبنى لهم القُبَّة على الصخرة والجامع الأقصى ليشغلَهم بذلك عن الحجّ، فكانوا يقفون عند الصخرة، ويطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة، وينحرون يومَ العيد[١].

[ذكر طرف من ذلك:

ذكر هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، وذكر طرفاً منه الواقدي وغيره؛ دخل حديث بعضهم في بعض؛ قالوا:] ولمَّا عزم عبدُ الملك على بنائها؛ كتبَ إلى أهل الأمصار ممَّن هو في طاعته من أهل الشام ومصر وأرمينية والجزيرة: أمَّا بعد، فإنَّ أمير المؤمنين قد عزمَ على بناء قُبَّة على صخرة بيت المقدس، تكونُ للمسلمين ظِلًّا وكهفاً[٢]، ولولده ولمن يأتي بعدَه عِزّاً وشَرَفاً، وإنه كره أن يشرع في ذلك قبل أن يستشير أهلَ الرأي والحَزْم والشرف والفضل من رعيَّته؛ قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فليكتبوا إليه ما عندهم فيما عزم عليه.

فكتبوا إليه: ليُتَمِّمْ أميرُ المؤمنين ما عزمَ عليه من بناء بيت الله المقدَّس، وتزيين المسجد الأقصى، أجرى الله الخيراتِ على يديه، وجعلَ ذلك مَكْرُمةً له، ولمن مضى مِن سَلَفِه، ولمَنْ يأتي بعدَه مِن خَلَفه موفَّقاً إن شاء الله تعالى.

وإنَّما[٣] استشارهم خوفاً من شناعة ابن الزُّبير عليه، فأرادَ حَسْمَ مادَّته، ومع هذا فما سلم منه، فإنه كان يُشَنِّعُ عليه ويقول: ضاهى بما فعلَ إيوانَ كسرى، والخضراء كما فعل معاوية، ونقلَ الطوافَ من بيت الله إلى قِبْلةِ بني إسرائيل، ونحو ذلك.

فسار عبدُ الملك من دمشق ومعه الأموال والعمَّال، ووكَّل بالعمل رجاءَ بنَ حَيْوة، ويزيد بن سلام مولاه[٤]، وجمع الصُّنَّاع والمهندسين [من الآفاق]، وأمرهم أن

(١) بعدها في «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١ (عن المصنِّف): ويحلقون رؤوسهم.

(٢) في (م): وكَنَفاً. وما سلف بين حاصرتين منها.

(٣) في (م): وقيل: إنما...

(٤) المثبت من (م)، وفي غيرها: ومولاه. وينظر «البداية والنهاية» ١٢/ ٤١.

يُصَوِّروا القُبَّةَ قبل بنائها، فصوَّرُوها له في صحن المسجد، فأعجبَه، وبنى للمال بيتاً شرقيَّ القُبَّة، وشَحنَهُ بالمال، وأمرَ رجاءَ ويزيدَ أنْ يُفْرِغا المالَ إفراغاً، ولا يتوَقَّفا في شيء، فتمَّ البناء على القُبَّة التي هي قائمة اليوم[١]، إلا أنَّه بنى من ناحية القبلة سبعة[٢] محاريب، عليها سبع قِباب، والقبَّةُ الباقية التي هي اليوم على المحراب هي أوسطُها.

ولما تمَّ بناءُ القُبَّة عملَ لها جِلالَيْن[٣]؛ أحدهما من اللُّبُود[٤] الحُمْر للشتاء، والآخر من أَدَم[٥] للصيف، وحَفُّوا الصخرةَ بدرابزين[٦] من الساج[٧] المطعَّم باليَشْم[٨]، وخلف الدرابزين ستورٌ من الدِّيباج مُرْخاة بين العُمُد.

وكان السَّدَنةُ كلَّ اثنين وخميس يُذيبون[٩] المِسْك والعنبر والماوَرْد والزَّعْفران، فيعملون منه غالِيةً[١٠] بماء الورد الجُوريّ ويُخَمَّر من الليل، ثم يدخلُ الخدمُ صُبْحةَ كلِّ يوم من هذين اليومين الحمَّام، فيغتسلون ويتطهَّرون، ثم يدخلون الخزانةَ التي فيها الخَلُوق، فيخلعون ثيابهم، ويلبسون ثياب الوَشْي[١١]، ويشدُّون أوساطَهم بالمناطق المحلَّاة بالذهب، ويُخَلِّقُون الصخرة[١٢]، ثم يوضع البَخُور في مجامر الذهب والفضة، وفيها [العُود] القَمَاريُّ المَطْليُّ بالمسك[١٣]، وتُرخي السَّدَنَةُ السُّتُور،

---

(١) في (م): فتمَّ البناء على هذه الهيئة التي هي عليها اليوم.

(٢) في النسخ الخطية: سبع. وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة.

(٣) أي: غِطاءَيْن.

(٤) جمع لِبْد، وهو ضربٌ من البُسُط.

(٥) جمع أديم، أي: جلد.

(٦) هي عبارة عن قوائم مصفوفة من الخشب أو الحديد تُحاط بها السلالم أو السطوح وغيرها. وهي معرَّبة. وتستخدم كثيراً. ينظر «معجم الألفاظ المعربة» ص ٦١ .

(٧) يعني خشب الساج، وهو ضرب من الشجر كبير.

(٨) نوع من الأحجار الكريمة شبيهة بالعقيق. ينظر «المعجم الذهبي» ص ٦٢١ .

(٩) المثبت من (م). وفي النسخ الأخرى: يذيفون(؟). وفي «البداية والنهاية» ١٢/ ٤٢ : يُذوِّبون.

(١٠) اسم للطِّيب المصنوع مما ذكر.

(١١) أي: الثياب المنقُوشة والمُنْمَنمة.

(١٢) أي: يطيِّبونها بالخَلُوق. وهو الطِّيب.

(١٣) بعدها في (م) ما صورتُه «والقَماري مكان بالهند يُجلب منه العود الخاص». اهـ . وذكر الفيروزآبادي في «القاموس» (قمر) أن قَمَار موضع منه العُود القَمَاريّ.

فيستديرُ[١] البَخُور على الصخرة كلِّها، فتعبَقُ الرائحة، ثم تُرفع السُّتور، فتخرج تلك الرائحةُ حتى تملأ المدينةَ كلَّها، ثم يُنادي منادٍ: ألا إنَّ الصخرةَ قد فُتحت، فمن أرادَ الزيارة فليأْتِ. فيُقبلُ الناسُ مبادِرين إليها، فيُصلُّون ويخرجون، فمن وُجدت منه رائحةُ البَخُور؛ قيل: هذا كان اليومَ في الصخرة.

وأبواب الصخرة أربعة على ما هي عليه اليوم، وعلى كلِّ باب عَشَرَةٌ من الحَجَبة، فالباب الشَّمالي سمِّي باب الجنَّة، والشرقيّ باب إسرافيل، والغربيّ باب جبريل، والقِبْليّ باب الأقصى، وكانوا يُسْرِجُونها بِدُهْنِ البَان[٢]، ولا يدخلُها في غير أيام الزّيارة سوى الخُدَّام.

وكان للحرم عشرون باباً وكان فيه ألفُ عمود من الرُّخام، وفي السُّقُوف ستون ألف خشبةً من السَّاج المنقوش، ومن القناديل خمسةُ آلاف قنديل، ولها أربع مئة سلسلة، في كل سلسلة ألفُ رطل بالشاميّ، وذَرْعُ السلاسل ثلاثون[٣] ألفَ ذراع.

وكان يُوقَدُ في الصخرة في كلِّ ليلة مئةُ شمعة، وكذا في الأقصى، وقيل: ألف [شمعة]، ويُوقد في القناديل كلَّ ليلة من دُهْن البَان والزَّيت المغسول قنطار.

وكان في الحرم من القِباب خمسون قُبَّة، ومن ألواح الرصاص سبعون ألف شَقَّة، وكان في الحرم ثلاث مئة خادم؛ اشْتُرُوا من بيت المال من الخُمس، كلما مات منهم واحد قام ولدُه ونسلُه مقامَه؛ يجري عليهم ذلك أبداً ما تناسلوا، ويقبضون أرزاقهم من بيت المال شهراً بشهر.

وكان فيه مئة صِهريج[٤]، وكانت صفائح سطوح القُبَّة عوض الرصاص من الذهب، وكذا سقفُ الأقصى وعلى أبواب القُبَّة.

[قال الواقدي:] وذلك لأنه لما كَمُل البناء؛ فَضَلَ من المال ثلاث مئة ألف دينار. وقيل: ست مئة ألف. فكتب رجاء بن حَيْوَة ويزيد بن سلام يُخبرانه بما فَضَلَ من المال.

---

(١) المثبت من (م): وفي غيرها: فيستديروا.

(٢) في «القاموس»: البان شجر، ولَبٌّ ثمره دهن طيّب.

(٣) في (م): أربعون.

(٤) الصِّهْريج: حوض كبير للماء.

فكتبَ إليهما: قد جعلتُه لكما عِوَضاً عن تعبكما. فكتبا إليه: إنَّا قُمنا ببناء هذا البيت للهِ تعالى وابتغاء مرضاته، فلا نقبلُ على ذلك عِوَض[1] الدنيا، ولَوَدِدْنا أن نَزِيدَ فيه من حُلِيِّ نسائنا. فكتبَ إليهما: أفْرِغاه على القُبَّة والأبواب. [فأفرغَاه]. فما كان أحد يقدر أن يتأمَّلَ القُبَّةَ ممَّا عليها من الذهب.

فلما كان في خلافة أبي جعفر قَدِمَ البيت المقدَّس في سنة أربعين ومئة، فوجد الزلازل قد أخربَت محاريب الأقصى وقِبابَه الستّ، ولم يبقَ إلا الأوسط الذي هو قائم اليوم، فشكا إليه الناس الخراب. فقال: قد علمتُم الحال، وليس في يدي ما أَعمُره اليوم، ولكن اقلعُوا هذه الصفائح التي على القُبَّة والأبواب، واعمُرُوه بها. ففعلوا.

ثم جاءت زلزلةٌ أخرى في أيام أبي جعفر، فرمت البناء الذي بَنَوْه.

فلمَّا قدم المهديّ محمد بن أبي جعفر إلى القدس بعد وفاة أبيه وجده خراباً، فقال: دَقَّ هذا المسجد وطال، وخلا من الرِّجال، انقُصُوا من طوله، وزِيدُوا في عرضه، واقتَصِرُوا على قُبَّة الأقصى ـ التي هي عليه اليوم ـ ففعلوا.

[قالوا:] وطولُ المسجد من القبلة إلى الشَّمال سبعُ مئة وخمسٌ وستون ذراعاً، وعرضُه أربع مئة وخمس وستون ذراعاً.

ولما تم بناء القُبَّة كتبوا عليها بالقَصِّ مما يلي القُبَّة مقابل الداخل من باب الصخرة القبليّ ما صورتُه: بسم الله الرحمن الرحيم، بنى هذه القُبَّة عبد الله عبدُ الملك أميرُ المؤمنين سنة اثنتين وسبعين.

قال المصنف رحمه الله: وقد قرأتُه مراراً، وقد قشط بعضُ الجُهَّال اسم عبد الملك، وكتبَ مكانه: المأمون. وأين أيامُ عبدِ الملك من أيام المأمون؟! بينهما نحوٌ من خمسين ومئة سنة.

وكان بين عِمارة القُبَّة ووفاة رسول الله ﷺ اثنتان وستون سنة، وبينها وبين فتوح عمر رضي الله عنه ستٌّ وخمسون سنة؛ لأن عمر رضي الله عنه فتحَه في سنة ستَّ عشرة[2].

---

(١) في (أ): عَرَض.

(٢) نقل ابنُ كثير الخبر في «البداية والنهاية» ١٢/ ٣٧ـ٤٤ في سنة (٦٦) عن المصنِّف. وكلُّ ما سلف في الخبر بين حاصرتين من (م).

وقال كعب الأحبار: وجدتُ في بعض كتب الله المنزَّلة: يقول [الله تعالى]: أبشري أورى شلم، سوف أبعثُ إليك عبدي عبد الملك يبنيكِ ويُزخرفُك، ولأَرُدَّنَّ إليك مُلكَك الأوَّل، ولأُكلِّلَنَّ الهيكل بالذهب والفضة واللؤلؤ والمَرْجان [يعني الصَخرة] ولأَضَعَنَّ عرشي عليك كما كان، إنني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي.

وفيها ولَّى عبدُ الملك طارقَ بن عَمرو مولى عثمان ﷺ المدينةَ، فسار إليها، فغلب عليها، وأخرج منها طلحة بن عبد الله بن عوف عاملَ ابن الزبير، وأقام طارق والياً عليها سنة، وقيل: خمسة أشهر. ثم أمرَه عبدُ الملك أن يخرج عنها فيقيمَ بين وادي القرى وبين أَيلة مَدَداً لما يحتاجُ إليه عوناً على ابن الزبير، وبعث إليه ستة آلاف، فأقام حيثُ أمره، وعزلَه عن المدينة[1].

[وطارق هذا صاحب الواقعة مع سعيد بن المسيّب]؛ قال عليُّ بن الحسين ﷺ[2]: ولَّى علينا عبدُ الملك بن مروان طارقاً مولى عثمان بن عفان، فقلتُ لسالم بن عبد الله ابن عُمر وللقاسم بن محمد بن أبي بكر [الصِّدِّيق]، ولأبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف: اذهبوا بنا إلى هذا الرجل لنسلِّم عليه ندفعْ بذلك عن أنفسنا.

قال: فأتيناه، فرحَّبَ بنا، ثم قال: أيُّكم سعيدُ بنُ المسيِّب؟ فقال له القاسم بنُ محمد: إنه مشغول [بنفسه] وقد رفعت عنه الولاةُ إتيانَها، وقد ألزمَ نفسَه المسجد، فليس يخرج منه إلا لحاجته. فقال: أوَرَغب أن يأتيَني، واللهِ لأقتلنَّه. قالها ثلاثاً.

قال القاسم: فضاقَ بنا المجلس، وقمنا من عنده، فأتيتُ المسجد، وإذا سعيد قاعدٌ عند أسطوانة[3]، فقلت له: [أرى] أن تخرج إلى مكةَ معتمراً وتقيمَ بها. فقال: ما حضرتني نيَّةٌ في ذلك. قلت: فاخْرُجْ إلى بعض منازل إخوانك فأقمْ به. فقال: وكيف أصنعُ بهذا الداعي الذي يدعوني في اليوم خمس مرات؟! قلتُ: فأرى أن تقوم من مجلسك هذا. فقال: لا أقومُ من مكان قد وهب اللهُ لي فيه العافية منذ كذا وكذا سنةً.

---

(١) ينظر تفصيله في «أنساب الأشراف» ٦/ ٢١٨ـ٢١٩ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤٨٨ (مصورة دار البشير).

(٢) في (م): حدَّثنا غير واحد عن هبة الله بإسناده إلى علي بن الحسين ﷺ قال...

(٣) في (أ): أسطوانته.

فأخبرتُه بقول طارق، فقال: هوِّنْ عليك. فقلتُ: أما تخافُ؟! فقال: واللهِ ما خِفْتُ شيئاً سوى ربِّي. ثم قال: أسألُ اللهَ العظيمَ أن يُنْسِيَه ذِكْري.

قال: فانصرفتُ عنه، وجعلتُ أسألُ: هل كان في المسجد شيء؟ ولا أُخبَر إلا بالخير. قال: فأقام طارق والياً علينا سنة لا يخطر ببالِه سعيد.

ثم عُزل طارق، فخرج من المدينة قاصداً وادي القُرى، فنزل فيه وبينَه وبين المدينة خمس مراحل، فقال طارق لغلامه: واسوأتاه من علي بن الحسين وسالم بن عبد الله والقاسم بن محمد، حلفتُ بين أيديهم ثلاثة أيمان بالله لأقتلنَّ سعيدَ بنَ المسيِّب، والله ما ذكرتُه إلا في هذه الساعة. فقال له غلامُه: ما أراد الله لك خيرٌ مما أردتَ لنفسك إذ أنساك ذكره[1]. فقال: صدقتَ، اذْهَبْ فأنتَ حُرٌّ لوجه الله تعالى[2].

وفيها بلغَ الخوارجَ أنَّ مصعبَ بنَ الزُّبير قد قُتل، وكانوا نازلين بسُولاف[3]، وفي مقابلهم المُهَلَّب، وعبدُ العزيز بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد، وكانوا قد اقتتلُوا ثمانية أشهر أَشَدَّ قتال، وبلغ الخوارجَ قتلُ مصعب قبل أن يبلغ المهلَّبَ وأصحابَه، فناداهم الخوارج: ما تقولون في مصعب؟ قال المُهَلَّب وأصحابُه: إمامُ هدًى، هو وليُّنا في الدنيا والآخرة. قالوا: فما تقولون في عبد الملك بن مروان؟ قالوا: ذاك ابنُ اللَّعين. قالوا: فأنتم منه بُرَآء في الدنيا والآخرة؟ قالوا: نعم، ونحن له أعداء؛ كعداوتنا لكم. قالوا: فإنَّ إمامَكم المصعب قد قتلَه عبدُ الملك بنُ مروان، وإنكم ستجعلون عبدَ الملك غداً إمامكم، وأنتم الآن تلعنون أباه، وتتبرَّؤون منه. قالوا: كذبتُم يا أعداء الله.

فلما كان من الغد تبيَّن لهم قتلُ مصعب، فبايع المُهَلَّبُ الناسَ لعبد الملك، فناداهم الأزارقة: يا أعداء الله، بالأمس تدَّعون أنَّ مصعباً إمامُكم، وتتبرَّؤون من عبد الملك، وتلعنون أباه، واليوم تُوالونَه وتُبايعونه بالخلافة، وقد قتلَ إمامَكم الذي كنتُم تَتَوَلَّوْنَه في

---

(١) المثبت من (م). وفي غيرها: لذكره.

(٢) ينظر «اعتقاد أهل السنة» ٩/ ١٨٤ـ١٨٥ ، و«المنتظم» ٦/ ١٢٠ـ١٢١ .

(٣) قرية غربيّ دُجيل من أرض خُوزستان. «معجم البلدان» ٣/ ٢٨٥ . وتحرَّفت في النسخ (غير م فالكلام ليس فيها) إلى سولان. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٨ .

الدنيا والآخرة! فأيُّهما المهتدي وأيُّهما الضالّ؟! فقالوا: رضينا بذلك إذ كان وَلِيُّنا ويلي أمورَنا، ونرضى[١] بهذا كما رضينا بذاك. فقالت الخوارج: لا والله، ولكنَّكم إخوانُ الشياطين، وأولياء الظالمين، وعَبيدُ الدنيا.

ولمَّا قدم خالد بنُ عبد الله بن أَسِيد البصرة؛ أقرَّ المُهَلَّبَ على خَراج الأهواز، وبعثَ المغيرةَ بن المُهَلَّب إلى إصطخر، وبعث مقاتلَ بن مِسْمَع على جيش، وألحقَه بأخيه عبد العزيز بن عبد الله، فخرجَ يطلبُ الأزارقة، وأقبلوا من كَرْمان، فالتَقَوْا على دَرَابْجِرْد[٢]، فاقتَتَلُوا، فقُتل مالكُ بنُ مِسْمَع، وانهزمَ عبدُ العزيز، وأُسِرَت امرأتُه بنتُ المنذر بن الجارود، فنُوديَ عليها فيمن يزيد، فبلَغَتْ مئة ألف، وكانت جميلة، فقام رجلٌ من قومها من رؤوس الخوارج يقال له: أبو حديد، فقال: تَنَحَّوْا عن هذه المشركة، فما أراها إلا قد فتنتكم. فضربَ عنقَها، وقدم البصرة بعد ذلك، فقال له أهل المنذر: ما ندري أنحمدُك أم نَذُمُّك! فقال: واللهِ ما فعلتُه إلا غَيْرَةً وحَمِيَّة.

وجاء عبد العزيز أخو خالد، فنزل على رامَهُرْمُز[٣]، وبلغ المُهَلَّبَ، فارسل شيخاً عاقلاً من فرسانه من الأَزْد إلى عبد العزيز يُشجِّعُه ويَعْذِرُه ويقول: مازال الناسُ كذا، ويخبرُه أن الجيوش تأتيه عاجلاً.

فجاء الشيخ إليه، فوجده في ثلاثين فارساً كئيباً حزيناً، فأدَّى رسالة[٤] المهلَّب، وعاد إلى المُهَلَّب، فأخبرَهُ خبرَه، فقال المُهَلَّبُ للشيخ: اذهب إلى البصرة إلى أخيه خالد، فأخْبِرْه بما رأيتَ. فقال الشيخ: أنا آتي خالداً فأُخبرُه بخبر أخيه! لا والله لا [آتيه]. فقال [المُهَلَّب]: والله لا يأتيه غيرُك. فقالَ: واللهِ لا آتيه. فقال المُهَلَّب: أما

---

(١) قوله: إذ كان ولينا...إلخ من (أ). وهو في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٩ بلفظ: إذ كان وليَّ أمورنا ونرضى...الخ. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥١٧ـ٥١٨ .

(٢) كُورَة (يعني بقعة فيها قُرىً ومحالّ) بفارس، وتعني عمل دراب، فـ «دراب» اسم الرجل الذي عمَّرها، و«جِرد» معناه عمل. ووقع في النسخ الخطية (غير م، فالكلام ليس فيها): داربجرد، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٩ ، وينظر «معجم البلدان» ٢/ ٤٤٦ .

(٣) في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها الكلام): ابن أم هرمز! والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٩ ، وعبارته: حتى انتهى إلى رامهرمز. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٥٢١ـ٥٢٢ .

(٤) في (ب) و(خ) و(د): بن سالم! بدل: «رسالة». والمثبت من (أ).

واللهِ لو كنتَ مع غيري، ثم أرسلَكَ على رجليك لخرجتَ تشتدُّ. فقال الشيخ: يا مُهَلَّب، أتمنُّ علينا بحلمك، ونحنُ واللهِ نُكافئُك، بل نزيد عليك، أما تعلمُ أنَّا نُعَرِّضُ أنفسَنا للقتل دونَك، ونحميك من عدوِّك، ولو لم تحلُم عنَّا جعلناك بيننا وبين عدوِّنا، ووقَيْنا أنفسَنا بك، ولو كنتَ ممَّن يبعثُنا في حاجة فنمشي على أرجلنا، ثم احتاجَ إلى قتالنا؛ جعلناه بيننا وبين عدوِّنا. فقال المهلَّب: صدقتَ.

ثم بعث فتًى من الأَزْد إلى خالد بن عبد الله يخبرُه بخبر أخيه، فأقبلَ الفتى إلى البصرة، فوجدَ خالداً جالساً بين الناس وعليه جُبَّةُ خَزّ، ومِطْرَفُ[1] خَزٍّ أخضر، فسلَّم عليه، فردَّ وقال: ما جاء بك؟ قال: رأيتُ أخاك عبد العزيز مهزوماً برامَهُرْمُز[2]. فقال: كذبتَ. فقال: احْبِسْني حتى يتبيَّن لك، فإن كنتُ كاذباً فاضْرِبْ عنقي، وإنْ كنتُ صادقاً فأعطني جُبَّتَك ومِطْرَفَك. فقال خالد: ما أيسرَ ما سألتَ، ولقد رضيتَ مع الخطر العظيم بالحقير الصغير. وحبَسَه حتى تَبيَّنَ الخَبَر، وكتبَ إلى عبد الملك يقول: بعثتُ أخي عبدَ العزيز في طلب الخوارج، فالتَقَوْا بفارس، فاقتتلوا، وانهزم الناسُ عن أخي، وقُتل مالك بن مِسْمَع.

فكتب إليه عبد الملك: وقفتُ على كتابك، وعرفتُ ما ذكرتَ، وسألتُ رسولَك عن مكان المهلَّب، فقال: هو عاملُ الأهواز. فقبَّح اللهُ رأيَك حيث تبعثُ أخاك أعرابيّاً من أهل مكة على القتال، وتدعُ المهلَّبَ إلى جنبك يجبي الخَرَاج، وهو الميمونُ النَّقِيبَة، الحَسَنُ السياسة، البصيرُ بالحرب، المقاسي لها، فلا تعمل بعدها برأي حتى يحضره المهلَّب وتستشيره فيه، وقد كتبتُ إلى أخي بِشْر أن يُمِدَّكَ من الكوفة بخمسة آلاف، والسلام.

فلما قرأ خالد كتابَه شَقَّ عليه حيث قبَّح رأيَه في بعث أخيه، وفي أمره له أنْ يستشيرَ المُهَلَّب.

---

(١) المِطْرَفُ: رداء أو ثوب من خزّ مربَّع ذو أعلام.

(٢) عبارة: «رأيت أخاك عبد العزيز مهزوماً برامهرمز» استظهرتُها من معنى ما وقع في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٠، وبحيث يكون أقرب إلى رسم الكلام في النسخ الخطية (غير م، فليس فيها الكلام)، فجاء فيها ما صورتُه: رأيتك جاه عبد العزيز بن مهزو بابرام هرمز! وعبارة الطبري: رأيت عبد العزيز برامهرمز مهزوماً.

وكتبَ عبدُ الملك إلى أخيه بِشْر: جَهِّزْ من الكوفة خمسةَ آلاف إلى خالد، واجْعَلْ عليهم رجلاً ترضاه، فإذا فرغ من هذا الوجه؛ فابْعَثْه إلى الرَّيّ.

فبعث عليهم عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعث، وقال بِشْر لعبد الرحمن: إذا قضيتَ غَزَاتك هذه؛ فاذهب إلى الرَّيّ. وكتب له عَهْدَه عليها.

وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز، وجاء عبدُ الرحمن بنُ الأشعث بأهل الكوفة، فوافاه بالأهواز، وجاء المُهَلَّب بجيشه، وجاءت الأزارقة حتى دنَوْا من مدينة الأهواز ومعسكرِ القوم، فقال المُهَلَّب لخالد: أرى ههنا سُفُناً كثيرةً، فضُمَّها إليك، فما أرى القوم إلا مُحرقيها. فما لبثَ إلا ساعة حتى بعثوا إليها خيلاً، فأحرقتها.

ثم أقاموا أيَّاماً يقتتلون؛ نحواً من عشرين يوماً، ثم إنَّ خالداً زحفَ إليهم بالناس، فرأوا أمراً هالَهم من العَدَد والعُدَد، فانصرفوا على حامية[1]، وأتْبعهم خالد بن عبد الله داودَ بنَ قَحْذَم، ورجع خالد إلى البصرة، وانصرفَ عبدُ الرحمن إلى الرَّيّ، وأقام المُهَلَّبُ بالأهواز.

وكتب خالد إلى عبد الملك: إنَّا لَقِينا الأزارقة على الأهواز، فاقتتلنا أشدَّ قتال، ثم أنزلَ اللهُ نصره على المسلمين، فانهزمَ القوم، وأتبعهم داودُ بنُ قَحْذَم، واللهُ مستأصلُهم، والسلام.

وقال ابنُ قيس الرُّقَيَّات في هزيمة عبد العزيز، وفِراره عن امرأته:

عبدَ العزيزِ فَضَحْتَ جيشَك كلَّهمْ ... وتركتَهم صَرْعَى بكلِّ سبيلِ
من بينِ ذي عَطَشٍ يجودُ بنفسهِ ... ومُلَحَّبٍ[2] بين الرِّجالِ قتيلِ
هلَّا صبَرْتَ مع الشهيدِ مُقاتلاً ... إذْ رُحْتَ مُنتكِثَ[3] القُوى بأصيلِ
وتركتَ جيشَكَ لا أميرَ عليهمُ ... فارْجِعْ بعارٍ في الحياةِ طويلِ

(١) في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٢ : كأنَّهم على حامية.

(٢) يعني الذي أثّر فيه الضربُ أو القطع.

(٣) في النسخ (غير م، فليس فيها الكلام): منتكب، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٣ وغيره مما سيرد.

ونَسِيتَ عِرْسَكَ إذْ تُقادُ[١] سَبِيَّةً تُبكي العيونَ بِرَنَّةٍ وعَوِيلِ[٢]

وفيها خرج أبو فُدَيْك الخارجي ـ وهو من بني قيس بن ثعلبة ـ [فغلبَ] على البحرين، وقتلَ نجدةَ بنَ عامر الحنفيّ، فبعث خالدٌ أخاه أميَّةَ بنَ عبد الله إلى أبي فُدَيْك في جيش كثيف، فهزمه أبو فُدَيْك، وأخذَ جاريةً كانت له، فاتَّخَذَها لنفسه، وعادَ أميَّةُ على فرسٍ مهزوماً، فدخل البصرة في ثلاثة أيام[٣].

وفيها بعثَ عبدُ الملك بنُ مروان الحجَّاجَ بنَ يوسف الثقفيَّ إلى مكة لقتال عبد الله ابن الزُّبير رضي الله عنهما.

قال ابنُ حَبِيب: دخلَ أعشى بني ربيعة ـ واسمه عبدُ الله، وقيل: صالح بن خارجة ابن حَبِيب بن قيس الشَّيباني الذُّهلي ـ على عبد الملك وهو يُرَدِّد[٤] في محاربةِ ابن الزُّبير ولا يجدُّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، مالي أراك مُتَلَوِّماً؛ يُنهضُك العزم، ويُقعدُك الحزم[٥]، وتَهُمُّ بالإقدام، ثم تجنح[٦] إلى الإحجام، امْضِ لرأيك، وتَوَجَّهْ إلى عدوِّك، فَجَدُّك مُقبل، وجَدُّه مُدبر، وأصحابُه له ماقِتُون، ونحن لك مُحِبُّون، وكلمتُهم متفرِّقة، وكلمتُنا مجتمعة، ووالله ما نُؤْتى من ضعف جَنَان، ولا من قلة أعوان، ولا يُثَبِّطُك عنه ناصح، ولا يُحرِّضُك عليه غاشّ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً. فقال: قل، فإنك تنطق بلسانٍ وَدُود، وقلبٍ ناصح، فقال:

آلُ الزُّبير من الخلافةِ كالتي عَجِلَ النِّتاجُ بحملها فأحالَها
أو كالضِّعاف من الحُمولةِ حُمِّلَتْ ما لا تُطيقُ فضيَّعَتْ أحمالَها
قُوموا إليهم[٧] لا تناموا عنهمُ كم للغُواة أطَلْتُمُ إمْهالَها

---

(١) في النسخ المذكورة: يقال. والمثبت من «تاريخ» الطبري وغيره.

(٢) ينظر الخبر بتمامه في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٦٨ـ١٧٣ ، وينظر أيضاً أنساب الأشراف ٦/ ٥٢٦ ، و«ديوان» ابن قيس الرُّقيَّات ص ١٩٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ١٧٤ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) أي: ينظر ويفكِّر. وفي «الأغاني» ١٨/ ١٣٣ : يتردَّد

(٥) في «الأغاني»: ينهضك الحزم ويقعدك العزم.

(٦) في النسخ (غير م): تحجم. والمثبت من «الأغاني».

(٧) في النسخ: إليها. والمثبت من «الأغاني».

إنَّ الخلافة فيكُمُ لا فيهمُ لا زِلْتُمُ أركانَها وثِمالَها
أمسَوْا على الخيرات قُفْلاً مُقْفَلاً فانْهَضْ بيُمْنِكَ فافْتَتِحْ أقفالها

فضحكَ عبد الملك وقال: صدقتَ، إنَّ أبا خُبَيْب لَقُفلٌ مُوثَق على كل خير، ولن أتأخَّر عن مناجزته إن شاء الله تعالى[1].

وكان عبدُ الملك[2] لما فرغ من المصعب وقفلَ إلى الشام قال: مَنْ لابن الزُّبير، وندبَ الناس إلى قتاله، فلم يُجِبْه أحد، فقام إليه الحجاج فقال: يا أمير المؤمنين، أنا له، ابْعَثْني إليه، فقد رأيتُ في منامي كأنّي أخذتُه، فسلختُه. فبعثَه إليه[3]، وكتبَ معه كتابَ أمانٍ لأصحاب ابن الزُّبير.

[فقال ابن سعد[4] بإسناده عن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير قال: بعث عبد الملك الحَجَّاجَ لما قُتل مصعب إلى مكة لقتال ابن الزبير] فخرج في ألفين من أهل الشام في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين، فلم يعرض للمدينة، وسلك طريق العراق، فنزلَ الطائف، وكان يبعثُ البُعوث إلى عرفةَ في الحِلّ، ويبعثُ ابنُ الزبير بعثاً فيقتتلون، وفي [كلٍّ] ذلك تُهزم خيلُ ابنِ الزُّبير، وترجعُ خيلُ الحجَّاج بالظَّفَر، ثم كتبَ الحجَّاجُ إلى عبد الملك يستأذنُه في دخول الحَرَم، ويعرِّفُه أنَّ شوكةَ ابنِ الزُّبير قد ضعُفَتْ، وتفرَّقَ عنه عامَّةُ أصحابِه. فكتب عبد الملك إلى طارق بن عَمرو وهو بوادي القُرى أنْ يلحقَ بالحجَّاج.

وكان قُدومُ الحَجَّاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين، فلما دخل ذو القَعْدة؛ خرج الحَجَّاج من الطائف، فنزل بئر ميمون، وقدم عليه طارق لهلال ذي الحجَّة، فحَصَرَ ابنَ الزُّبير.

---

(١) ينظر «الأغاني» ١٨/ ١٣٣ـ١٣٤ . وأبو خُبيب هو عبد الله بن الزُّبير. وقوله: ثِمالها؛ الثِّمال: الملجأ والغِياث. قال أبو طالب يمدحُ النبيَّ ﷺ: ثِمالُ اليتامى عِصْمَةٌ للأرامِل.

(٢) في (م): قال الرِّياشي: كان السبب في بعث الحجاج إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير أن عبد الملك...

(٣) عبارة (م): «قال: مَنْ لابن الزُّبير؟ فقام إليه الحجاج بن يوسف فقال: يا أمير المؤمنين ابعثني إليه، فقد رأيتُ في منامي كأني أخذتُه فسلختهُ. فجهَّزَه إليه. وقال ابن إسحاق: ندب عبد الملك الناس إلى قتال ابن الزبير فلم يُجبه أحد، فقام الحَجَّاج فقال: أنا له. فبعثه إليه...إلخ

(٤) هو في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٤ من طريق ابن سعد. وهذا الكلام بين حاصرتين من (م).

وحَجَّ بالناس الحَجَّاج، وأقامَ على إحرامه، وكذا طارقٌ؛ لم يقربا النساء، ولم يصل إلى البيت منهما أحد، ولم يقربا الطِّيب، وكانا يلبسانِ السلاحَ ويقاتلان، فلم يزالا على إحرامهما حتى قُتل ابنُ الزبير، فحلَّا من إحرامهما، ونحرا جزائر، ولم يقف ابنُ الزُّبير بعرفة، ونَحرَ بمكةَ بُدْناً.

وأقام الحصار عليه من أوّل شعبان، وكان الحجَّاج وطارق نازلين ببئر ميمون والحَجُون، وما بينهما[1].

وفيها توفِّي

عَبِيدة بنُ قيس السَّلْماني

من مُراد [وقيل: عَبِيدة بن عَمرو]، وكنيتُه أبو مسلم، [وقيل: أبو عمر]. وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة.

[قال ابن سعد:][2] أسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين ولم يلقَه، وهاجرَ في أيام عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وكان عريفَ قومِه، وشهد مع عليٍّ عليه السلام النَّهْرَوان.

ودعا عند موته بكتبه[3]، فمحاها وقال: أخشى أن يَلِيَها أحدٌ بعدي، فيضعوها في غير مواضعها.

[قال الواقدي:] ولما أفتى عليٌّ عليه السلام ببيع أمَّهات الأولاد؛ قام عَبِيدة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما كنتَ تَرى بيعَهنَّ على عهد أبي بكر وعمر، فكيف رأيتَه بعدهما؟! فقال: رأيٌ رأيتُه بعدهما. فقال عبيدة: رأيُك مع الجماعة أحبُّ إلينا من رأيك وحدَك[4].

وكان عَبِيدة من أصحاب ابنِ مسعود الذين يقربون منه ويُفتون عنه.

---

(١) في (م): وقيل: فيما بينهما. وينظر «تاريخ» الطبري ٦/ ١٧٤ـ١٧٥ .

(٢) في «الطبقات» ٨/ ٢١٣ ، وينظر «المعرفة وال«تاريخ» ١/ ٢٢٨ . والكلام الواقع بين حاصرتين من (م).

(٣) في (م): وروى ابن سعد أن عَبِيدة عند موته دعا بكتبه...إلخ. وهو في «الطبقات» ٨/ ٢١٤ .

(٤) ينظر: المعرفة والتاريخ ١/ ٤٤٢ ، ومعجم ابن الأعرابي ١/ ٢٦٨ ، وسنن البيهقي ١٠/ ٣٤٨ .

وكان يوازي شُريحاً في علم القضاء، وكان شُريح إذا أشكلَ عليه أمرٌ سألَ عنه عَبِيدةَ لعلمه وفضله.

وأوصى[١] عَبِيدة السَّلْماني أن يُصلِّيَ عليه الأسود بن يزيد، فقال الأسود: اعْجَلُوا به قبلَ أنْ يجيءَ الكذَّاب. يعني المختار. فصلَّى عليه قبل غروب الشمس، فإنْ صحَّ ذلك فقد تقدَّم موتُه على هذه السنة[٢].

أسند عَبِيدة عن عُمر، وعليّ، وابنِ مسعود، وابن الزُّبير، وغيرِهم.

وروى عنه الشَّعبيّ، والنَّخَعي، وابنُ سِيرين، وغيرُهم.

السنة الثالثة والسبعون

فيها استفحلَ أمر أبي فُدَيْك الخارجي بالبحرَيْن[٣] حتى صار في عشرة آلاف، وعاث في نواحي البصرة والأهواز، فجهَّز إليه عبدُ الملك عُمرَ بن عُبيد الله بن معمر، وندبَ معه من الكوفة عشرةَ آلاف، وخرج معه من البصرة عشرة آلاف، بعد أن أعطاهم أرزاقَهم، وسار إلى البحرين، وجعل أهلَ الكوفة على الميمنة، وعليهم محمد بن موسى بن طلحة، وجعل أهل البصرة على الميسرة، وعليهم ابنُ أخيه عُمر[٤] بن موسى ابن عُبيد الله، ووقف عمر في القلب، والرَّجَّالة بالرِّماح بين أيديهم، وحمل أبو فُدَيْك في أصحابه حملةَ رجلٍ واحد، فهَزَموا أهلَ الكوفة، وثبت أهل البصرة، وجُرح عُمر ابن موسى بن عُبيد الله، فلما رأى أهلُ الكوفة أهلَ البصرة لم ينهزموا؛ رجعوا[٥]،

---

(١) في (م): واختلفوا في وفاته، فقال ابن سعد بإسناده عن أبي حصين: أوصى...إلخ. وهو في «طبقات» ابن سعد ٨/ ٢١٥.

(٢) لفظ (م): «...قبل غروب الشمس. قال ابن سعد: ومات عَبِيدة في سنة اثنتين وسبعين. قلت: وهذا وهم؛ لأن المختار قُتل في سنة سبع وستين، وهذه سنة اثنتين وسبعين. وقال خليفة: مات عَبِيدة في سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين». اهـ. قلتُ: وكلام ابن سعد في «طبقاته» ٨/ ٢١٦. ولم أقف على قول خليفة إنه مات سنة (٧٣)، والذي في تاريخه» ص ٢٦٨، و«طبقاته» ص ١٤٦ أنه مات سنة (٧٢)؛ قال: ويقال: زمن المختار.

(٣) في النسخ (غير م، فليس فيها الكلام): بالتخمين. والصواب ما أثبتُّه إن شاء الله.

(٤) في النسخ: عمرو. والمثبت من المصادر.

(٥) الذي في «تاريخ» الطبري ٦/ ١٩٣، و«الكامل» ٤/ ٣٦٢، و«المنتظم» ٦/ ١٢٩ أن الميسرة هي التي انكشفت وانهزمت، والميسرة هم أهل البصرة. ولفظ العبارة الأخيرة عند الطبري: فلما رأى أهلُ البصرة أهلَ الكوفة لم ينهزموا تذمّمُوا ورجعوا...